

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حمدا لك اللهم ، بك المعونة والتوفيق ، ومنك الهداية لاقوم طريق ، إذا  
أظلمت الشبهات ، فى دجنة الخطوب المدلهمات ، وبفضلك نطلب يقينا يملا  
الصدر ، ويستولى على زمام القلب ، ويكتب سورة النفس ، فيردها عن غيها ،  
ويكبح جماح شواتها ، فانك الملجأ والنصير والمعين ، وصلاة وسلاما على محمد  
عبدك ورسولك الذى آتيت الحكمة وفصل الخطاب ، وعصمته من الخطأ والهمته  
الصواب ، ومننت عليه بفضيلة البيان ، ففند بقاطع حجته قول من عارضه من أهل  
الزور والبهتان .

وبعد - فإن موضع علوم البيان من علوم العربية ، موضع الرأس من الإنسان ، أو  
اليتيمة من قلائد العقيان ، فهى مستودع سرها ، ومظهر جلالها ، فلا فضيلة لكلام  
على كلام ، إلا بما يحويه من لطائفها ، ويودع فيه من مزاياها وخصائصها ، ولا تبريز  
لمتكلم على آخر ، إلا بما يحوكه من وشيها ، ويلفظه من درها ، وينفته من سحرها ،  
ويجنه من يانع ثمرها .

إلى أن بها نعرف وجه اعجاز القرآن ، ونذكر ما فيه من خصائص البيان ،  
ونفهم براعة أسلوبه ، وأنسجام تأليفه ، وسهولة نظمه وسلامته ، وعذوبته  
وجزالاته ، إلى أمثال تلك المحاسن التى أسالت على العرب الوادى عمجا ، حتى  
حارت عقولهم ، وقصرت عن بلوغ شأوه جهابذتهم وفحولهم ، حتى اضطرب  
ذلكم المتكبر الجاحد ، والصلف المعاند ، الوليد بن المغيرة ، أن يقول فيه مقالته  
الماثورة ، ( والله ان لكلامه لحلاوة ، وأن عليه لطلاوة ، وأن أسفله لمغدق ، وأن  
أعلاه لمورق ، وأنه ليعلو ولا يُعلى عليه ، وما هو بقول البشر ) فالجاهل  
بأسرارها ، واغروم من اقتطاف جنى ثمارها ، لا يعرف وجه الإعجاز إلا  
بالتقليد ، ولا يعلم ذلك إلا بالسماع ، فسواء فى قضية النظر ، هو والزنجى

والبربرى ، والفارسى والنبطى ، إذ كل أولئك يتلقونه سماعا ، ويصل إليهم علمه مشافهة .

مما تقدم تعلم جليل خطرهما ، وعظيم منزلتها ، وإنها لا تدانيها منزلة علم آخر من علوم العربية ، فلا غرو إذا أجهت هم العلماء والباحثين فى مختلف العصور إلى التأليف فيها ، وبسط القول فى بيان مغازيها ومراميتها ، وقد رأينا أن ندلى دلونا بين الدلاء ، ونشرب بسهم فى هذا الميدان ، والله ولى التوفيق ، والهادى لأقوم طريق .

أحمد مصطفى المراغى

## نبذة

### في تاريخ علوم البيان أو علوم النقد أو علوم البلاغة

#### ١- الحاجة إلى وضع قواعدها

(أ) اشتعلت نار الجدل صدر الدولة العباسية حتى أندلع لهيبها وتطاير شررها إلى جميع أنحاء البلاد الإسلامية ردحا من الزمن غير قليل بين أئمة الأدب وأرباب المقالات من علماء الكلام في بيان وجه اعجاز القرآن ، واختلفوا في ذلك طرائق قديدا ، وتفرقوا أيدي سبا ، وتعددت نزعاتهم ، وتضاربت مذاهبهم وآراؤهم كما هو مسطور في زبر المتكلمين كالمواقف لعضد الدين والمقاصد لسعد الدين التفتازاني .

وكان الرأي الآفن من بين هذه الآراء وأبعدها عن الصواب ، رأى إبراهيم النظام صاحب المذهب الذى ينسب إليه ( مذهب الصرفة ) إذ قال أن القرآن ليس معجزا بفصاحته وبلاغته ، وأن العرب كانوا قادرين على أن يأتوا بمثله ، لكن الله صرفهم عن ذلك تصديقا لنبيه ، وتأبيدا لرسوله حتى يؤدي رسالات ربه ، فأنبرى للرد عليه جم غفير من العلماء من بينهم الجاحظ والباقلاني وأمام الحرمين والفخر الرازى ، وناضلوا نضالهم المحمود الذى خلد لهم فى بطون الأسفار فكتبوا الفصول الممتعة مبينين خطئ رأيه وفساد مذهبه ، بما أملته عليهم قرائحهم الوقادة ، وأفكارهم النقادة ، حتى لم يبق فى القوس منزع ، ولا زيادة لمستزيد .

(ب) كذلك قامت سوق نافعة للحجاج والمناظرة ، بين أئمة اللغة والنحو أنصار الشعر الجاهلى ، الذين رأوا أن الخير كل الخير فى المحافظة على أساليب العرب وأوضاعها ، والأدباء والشعراء أنصار الشعر المحدث الذين لم يحفلوا بما درج عليه أسلافهم من العرب ، ورأوا أنهم فى حل من كل قديم ، لا يشاكل بيئة الحضارة التى غدوا بلبانها وربوا فى أحضانها ، ولم يكن العرب ليحملوا بها من قبل ، ولو أن القدر

أتاح لهم أن يروا زخارف تلك المدينة ، وطرائف لطائفها ، وكان لهم شأن فى آدابهم . ومهيع فى أساليبهم غير شأنهم هذا .

(ج) أضف إلى تلك الضوضاء وذلك اللجج ، ما شجر من الخلاف بين أئمة الأدب وأساطينه ، فى بيان وجوه تحسين الكلام حتى يرقى فى سلم البلاغة ، وينال قسطه من الفصاحة ، وتناقضت آراؤهم فى ذلك إما تناقض ، وفريق مال إلى رصين الكلام الجامع بين العذوبة والجزالة ، وفريق أولع بالمنطق الموشى المشتمل على صنعة البديع ، يرشد إلى ذلك ما تراه فى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة الدينورى المتوفى سنة ٧٢٦ هـ حين حكم على تلك الأبيات المشهورة لكثير عزة بأنها موقنة خلافة فى لفظها لكنك إذا فتشتها وبحثت عن ذات نفسها لم تحل منها بطائل ، وهى :

ولما قضينا من منى كل حاجة	ومسح بالأركان من هو مساح
وشدت على حذب المهارى رحالنا	ولم ينظر الغادى الذى هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا	وسالت بأعناق المطى الأباطح

ثم ما تجده فى كتاب الصناعتين لأبى هلال العسكري من استحسان هذه الأبيات ونقد حكم ابن قتيبة وأتهام ذوقه ، ووافق على نقده أبو الفتح بن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ هـ فى كتاب الخصائص ، والامام عبد القاهر فى اسرار البلاغة وأطال الاطراء لثالثها إلى غير ذلك من مختلف الآراء مما لسنا بصدد سرده الآن .

كل أولئك لفت أنظار أئمة البلاغة إلى أن يضعوا قوانين وضوابط يتحاكمون إليها عند الاختلاف ، وتكون دستورا للناظرين فى آداب العرب منشورها ومنظومها ونشأ من ذلك البحث فى علوم البيان أو علوم البلاغة .

## ٢- أول من دونها

لا نعلم أحدا سبق أبا عبيدة معمر بن المثنى الراوية تلميذ الخليل بن أحمد المتوفى سنة ٢١١ هـ . فقد وضع كتابا فى علم البيان سماه (مجاز القرآن) لكنه لم يرد بالمجاز

الوصف الذى ينطبق على ما وضع من القواعد بعد ، بل هو أشبه بكتاب فى اللغة توخى فيه جمع الألفاظ التى أريد بها غير معانيها الوضعية ، ألا تراه وقد سئل مرة عن قول الله عز وعلّا (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) فقال هو مجاز كقول امرئ القيس (ومسنونة زرق كأتياب أغوال) .

كما لا نعرف بالضبط أول من ألف فى علم المعانى ، وإنما أثر فيه نبد عن بعض البلغاء كأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكنانى المتوفى سنة ٢٥٥ هـ أمام الأدباء وسلطان المنشئين فى عصره والقُدوة فى أساليبه التى أختص بها وتحداه فيها الأئمة من بعده .

فقد أشار إلى مسائل منه فى كتابه (إعجاز القرآن) وعنى فى كتابه (البيان والتبيين) بدرس بعض القواعد التى كثر ولوع القوم بها فى عصره كبيان معنى الفصاحة والبلاغة ، وحسن البيان والتخلص من الخصم ، وحسن الأسجاع ، ثم فقاه ابن قتيبة فى كتابه (الشعر والشعراء) والمبرد فى كتابه الكامل فتعرضا لبعض نتف من هذه العلوم .

وغنى عن البيان ان المتكلمين بداءة ذى بدء فى أى فن من الفنون ، لا يحيطون بأطرافه ، ولا يتغلغلون فى استقصاء مباحثه .

لكننا نعلم أن أول من دون البديع الخليفة عبد الله بن المعتز بن المتوكل العباسى المتوفى سنة ٢٩٦ هـ فقى استقصى ما فى الشعر من المحسنات وألف كتابا سماه (البديع) ذكر فيه سبعة عشر نوعا منها الاستعارة والكناية والتورية والتجنيس والسجع إلى غير ذلك ، وقال « ما جمع قبلى فنون البديع أحد ولا سبقنى إلى تأليفه مؤلف ، ومن رأى أن يقتصر على ما اخترنا فليفعل ، ومن رأى إضافة شئ من المحاسن إليه فله اختياره » .

ومن البين أن اسم البديع بهذا الإطلاق يتناول ما سماه المتأخرون بعلم البيان ثم ألف معاصره قدامة بن جعفر الكاتب البغدادى المتوفى سنة ٣١٠ هـ كتابا فى نقد الشعر سماه (نقد قدامة) ذكر فيه ثلاثة عشر نوعا من البديع زيادة على ما أملاه ابن المعتز فتممها ثلاثين نوعا .

تلا هذين العالمين أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى سنة ٢٩٥ هـ وألف كتابه (السناعتين) صناعتى النشر والنظم ، جمع فيه خمسة وثلاثين نوعا من البديع ، وبحث فيه عن عدة مسائل أخرى كالفصاحة والبلاغة والإيجاز والأطناب والحشو والتطويل وعدة أبواب فى نقد الشعر إلى غير ذلك من جليل المباحث .

وكتابه يعتبر أول مصنف اشير فيه إلى مسائل علوم البيان الثلاثة ( المعانى والبيان والبديع ) .

### ٣- وفى هذه العلوم بتأليف الامام عبد القاهر

تمخض القرن الخامس فولد نادرة البطن ، ونابغة البلغاء ، وامام حلبة الفصحاء أبا بكر عبد القاهر بن الرحمن الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ الذى نظرمينة ويسرة فلم يجد من مسائل هذه الفنون إلا نتفا مبعثرة لا تسمن ولا تغنى من جوع ، فشرع عن ساعد الجرد ، وجمع متفرقاتها ، وأقام بناءها على أسس متينة ، وركز دعائمها على أرض جدد لا تنهار ، وأملى من القواعد ما شاء الله أن يملى فى كتابيه (أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز) وأحكم بنيانها بضرب الأمثلة والشواهد ، حتى أناف بها على اليفاع ، وقرن فيهما بين العلم والعمل إذ رأى أن مسائل الفنون لا يستقر لها قارا إلا بكثرة الأمثلة والنماذج ، فالصور الإجمالية التى تؤخذ من القواعد ، أن لم تؤيدها الصور التفصيلية التى تستفاد من النماذج ، لا تتمثل فى الأذهان حق التمثل ، ولا تنجلي حقيقتها تمام الإنجلاء .

وقد ساعده على ذلك ما آتاه الله من عذوبة البيان ، وما تحلى به قلمه من الطلاوة الخلافة ، والبلاغة الساحرة للآليات .

### ٤- الامام جار الله الزمخشري

نبغ اثر عبد القاهر أستاذ المفسرين ، جار الله الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨ هـ وألف تفسيره (الكشاف) نحا فيه نحو الغرض المقصود من تفسير التنزيل ، وهو اظهار

أسراره ، وشرح وجه اعجازه ، ببيان وفاء دلالة على المراد ، وكشف خصائصه ومزاياه التي استأثر بها حتى بلغ هذه المرتبة ، وحتى تعدى البشر بأنهم لن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وغنى عن البيان له أنه لن يصل إلى تلك المنزلة إلا من أتاه الله فطرة سايمة ، ورأيا حصيفا ، وفكرا ثاقبا ، وبرهانا ساطعا ، وقلما أطوع له من بنائه حتى يتاح له بوضح البرهان ، وبديع البيان ، أن يوضح خصائص التراكيب ، ولطائف الأساليب التي هي من أسرار التنزيل ، وبذا ابان في عرض كلامه كثيرا من قواعد هذه الفنون التي اتخذها من جاء بعد ، دستورا للكلام في كثير من مسائلها .

### ٥- أبو يعقوب يوسف السكاكي

جاء بعد من تقدم ذكرهم العلامة أبو يعقوب ، يوسف السكاكي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ وألف كتابه (مفتاح العلوم) وجمع في القسم الثالث منه زبدة ما كتبه الأئمة قبله في هذه الفنون ونظم لآلئها المتفرقة في تضاعيف كتبهم ، وأحاط بكثير من قواعد المبعثرة في الأمهات ، ورتبها أحسن ترتيب ، وبوبها خير تبويب ، وفصل فنون البيان الثلاثة بعضها من بعض ، لما كان له من واسع الإطلاع ، على علوم المنطق والفلسفة .

ولولا أن المؤلف أولع بتطبيق أساليب العرب ، على علوم اليونان وإصطلاحاتهم مع ما بينهما من بعد الدار ، وشط المزار وأختلاف البيئات ، وتباين المعتقدات ، لكان خير كتاب اخرج للناس في هذه الفنون ، لجمعه شتاتها ، وضمه ما تفرق من قواعدها .

وقد أختصر مؤلفه في كتاب آخر سماه (التبسيان) ولخصه بعض المتأخرين في أمهات مشهورة ، كما فعل ابن مالك في كتابه (المصباح) والخطيب لجلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ، في كتابه (تلخيص المفتاح) و (شرح الايضاح) والآخر مؤلف جليل ، جمع فيه مؤلفه خلاصة المفتاح ودلائل الإعجاز وأسرا البلاغة وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي .

## ٦ - الوزير ضياء الدين ابن الاثير

بيننا السكاكى : يؤلف كتابه (مفتاح العلوم) إذا بالوزير ضياء الدين أبى الفتح نصر بن محمد الموصلى الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ وزير الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي ، يصنف كتابه (المثل السائر ، فى أدب الكاتب الشاعر) وهو كتاب فريد فى بابيه يفوق أنداده وأترابه ، جمع فيه فأوعى . ولم يترك شاردة ولا واردة ، لهما مساس بالكتابة والقريض ، الا ذكرهما بشرح واف ، يدل على طول باع ، وسعة بالكتابة والقريض ، الا ذكرهما بشرح واف ، يدل على طول باع ، وسعة اطلاع ، مع قدرة على النقد ، وبديهة حاضرة فى إدراك خصائص البلاغة ، ومن ثمة أشتمل كتابه على كثير من أبواب تلك الفنون ، وطبق عليها كثيرا من آى الكتاب والسنة النبوية وتلك منقبة أمتاز بها من بين هاتيك المؤلفات فى تلك العلوم .

وكان يحاكى فى أسلوبه أسلوب القاضى الفاضل المتوفى سنة ٥٩٦ هـ وزير صلاح الدين الأيوبي (على ما بينهما من شاسع البون) وطريقة القاضى معروفة بين المتأدبين وهى من النوع الذى يغلب عليه السجع والجناس وغيرها من المحسنات اللفظية - وكانت براعة الكتاب فى هذا العصر وما بعده تظهر فى استعمال تلك الطلاوة اللفظية وبها يفوق كاتب كاتبها ، ويبدأ الأقران فى هذا الميدان .

## ٧ - عصور الاختصار ووضع الشروح والحواشى

طفق المؤلفون من القرن الثامن وما بعده يوسعون الشروح والحواشى على المفتاح وتلخيصه للقزوينى ، وصرفوا جل همتهم فى تفسير ما أشكل من عبارات المؤلفين ، والجمع بين ما تناقض من آرائها .

وأجل تلك الشروح شروح مسعود سعد الدين التفتازانى المتوفى سنة ٧٩١ هـ وشرح السيد الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، ثم تتابعت التقارير والحواشى توضح ما أنبهم من تلك التراكيب المجرمة ، والعبارات الغامضة ، وليس علينا من غضاضة فى التصريح بأن أساليب التأليف فى تلك العصور قد ملكت عليها

العجمة أمرها ، وجلبت عليها أنواع التعقيد بخيلها ورجلها ، فلم تكن هي الأساليب التي يجدر أن تكتب بها علوم البلاغة أو بالأحرى علوم خصائص اللسان العربي المبين .

ومن ثمة لم يكن القارئ ليجعلها قدوة في أساليبها ، أو نماذج في تركيبها ، فهي أخرى أن تكون أساليب إصطلاحية علمية ، لا لغوية أدبية ، تشرح خصائص كلام العرب ، وتبين مزايا أساليبها ، وما زالت تتدلى وتتدهور حتى وصلت إلى ما تراه اليوم ، تتضاءل في أطمارها البالية ، وتنزوي أمام أهل الجيل الحاضر .

## ٨- تأليف معاصرنا في هذه الفنون

أنشئت المدارس العالية والثانوية بمصر في نهاية القرن الغابر ، وسلكت في التربية والتعليم طريقا سويا ، لا مشاكلة بينه وبين ماتقدمه في معاهد العرفان ، وكان في مقدمة تلك المدارس التي شيدت ، مدرسة دار العلوم من نحو أربعين سنة ونيف ، فألف اساتذتها مختصرات تناسب تلك البرامج المدرسية ، ويسهل على الطلبة ان يحصوا على بغيتهم منها ، فحمد لهم الناس جميل صنعهم ، وأوفوهم حقهم في الثناء والتقريرظ مقدار ما كان لمؤلفاتهم من الميزة أبان ظهورها .

وفي الحق أن تلك الرسائل وأن أختلف ترتيبها وتنوع تبويبها ، تنحو على الجملة في أسلوبها ، منحى ما كتبه صاحب التلخيص وشراحه ، وتسير على خطتهم وتحذو حذوهم (وقد عرفت حال هذه التأليف) فضلا عن خلوها من الامثلة المنوعة التي تتضح بها مجملات تلك القواعد .

وأفضل تلك المختصرات كتاب (دروس البلاغة) فهو على ايجازه الذي لوحظ فيه حال النشء وهم في بدء تحصيل مختلف العلوم ، كفيل بتصوير القواعد في أذهانهم جهد المستطاع .

## ٩- طريقنا فى التأليف

رأينا أن نضع كتابا يجمع بين طريق المتقدمين ، من سعة الشرح والبيان ، والأعتماد على الأمثلة والشواهد ، حتى تستبين للقارئ خصائص البلاغة مرموقة محسوسة ، ولطائف الكلام مجسمة ملموسة ، ويسهل تطبيق العلم على العمل ، والإجمال على التفصيل ، وذلك أمثل الطرق ، لبنائه على قواعد علم النفس ، من تعويد الناظر الركون إلى الوجدان والحس ، وطريق المتأخرين من حسن الترتيب والتبويب وجمع ما تفرق من قواعد هذه الفنون ، ليكون أنجح فى الدرس وأقرب إلى التناول .

فإذا كنا قد وقفنا إلى ما قصدنا وهدينا إلى الغرض الذى توخينا ، فذلك من فضل الله علينا ، وأن كنا تنكبنا عن جادة الحق ، وأخطانا شاكلة الصواب ، فليغض القارئ الطرف عما يراه من الهفوات ، ويعثر عليه من الزلات ، فإن الطريق وعر والمركب غير ذلول ، وقد بما قال الأول ( كفى المرء نبلا أن تعدّ معايبه ) .

وليعلم أنا لم ندخر وسعا فى تمحيص ما كتبنا وتهذيبه ، وتنقيح ما رتبنا وتجويده بعد أن قضينا زمتنا طويلا فى البحث والتنقيب ، فى الأمهات المؤلفة فى هذه الفنون وغيرها للمتقدمين والمتأخرين ، وأطلعنا على الرسائل التى صنفها معاصرونا ومن تقدمهم ، جزى الله الجميع خيرا ، وعليه التكلان وبه المستعان .

أحمد مصطفى الطاهر

## فى حقية الفصاحة والبلاغة لغة واصطلاحا

للفصاحة لغة معان متعددة كلها تشف عن الظهور والابانة فيقال :

١- فصح اللبن وأفصح اذا أخذت عنه الرغوة قال نضلة السلمى وتحت الرغوة اللبن الفصيح (١) .

٢- أفصح الصبح بدأ ضوءه ومنه المثل : ( أفصح الصبح لذى عينين (٢) ) .

٣- يوم مفصح وفصح لا غيم فيه ولاقرّ .

٤- أفصح الأعجمى بالعربية ، وفصح لسانه بها إذا خلصت لغته من اللكنة وفى التنزيل ( وأخى هرون هو أفصح منى لسانا ) أى أبين منى قولاً .

والبلاغة لغة تنبئ عن الوصول والإنهاء .

يقال بلغت الغاية إذا أنتهيت إليها ، ومبلغ الشئ منتهاه ، ورجل بليغ وبليغ ويبلغ ويبلغ ، حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه فى قلبه ، ويبلغ بالضم بلاغة صار بليغا ، وتبالغ فى كلامه تعاطى البلاغة وما هو ببليغ ، وتبالغ به الفرح والحزن تناهى .

أما البلاغة اصطلاحا فالبلغاء فى ذلك فريقان :

١- المتقدمون كالامام عبد القاهر الجرجانى ومن لف لفه ، وهؤلاء يرون ان الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة الفاظ مترادفة لا تتصف بها المفردات وإنما يوصف بها الكلام بعد توخى (٣) معانى النحو فيما بين الكلم بحسب الأغراض التى يصاغ

(١) يضرب مثلا للأمر ظاهره غير باطنه .

(٢) يقال الشئ ينكشف بعد استناره .

(٣) الطلب والتحرى .

لها ، وإلى ذلك أشار فى دلائل الإعجاز فى مواضع عدة منها قبله : « فصل فى تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة وكل ما شاكل ذلك مما يعبر عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد - ومن المعلوم أنه لا معنى لهذه العبارات وسائر ما يجرى مجراها مما يفرد فيه اللفظ بالنعته والصفة وينسب فيه الفضل والمزية إليه ، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة ، ثم قال ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤتى المعنى من الجهة التى هى أصح لتأديته ويختار له اللفظ الذى هو أخص به وأكشف عنه وأتم له وأحرى بأن يكسبه نبلا ويظهر فيه مزية » .

وقال قبله أبو هلال العسكرى فى الصناعتين : فى الفصاحة والبلاغة ترجعان إلى معنى واحد وأن أختلف أصلاهما ، لأن كل واحد منهما إنما هو الأمانة عن المعنى والأظهار له » .

وقال الفخر الرازى فى نهاية الإيجاز ، وأكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال الشيعين المترادفين على معنى واحد فى تسوية الحكم بينهما .

ويشهد لذلك قول الجوهري فى الصحاح : الفصاحة : البلاغة .

وعلى هذا رأى فمرجعتهما وماشاكلهما النظم والكلام دون الألفاظ المجردة والكلمات المفردة .

٢- المتأخرون كأبى يعقوب يوسف السكاكى وابن الأثير ، ومن شايعهما ، وأولئك يرون أخراج الفصاحة من كنف<sup>(١)</sup> البلاغة ، ويجعلونها أسما لما كان بنجوة<sup>(٢)</sup> من تنافر الحروف وغرابة الألفاظ ومخالفة القياس ، إلى آخر ما سيذكر بعد ويجعلون البلاغة أسما لما طابق مقتضى الحال مع الفصاحة ، وعلى هذا رأى فالبلاغة كلُّ والفصاحة جزؤه ، وعليه أيضا فالفصاحة من صفات المفرد كما هى من صفات المركب بحسب الاعتبارات الآتية :

(١) الناحية والجانب .

(٢) يقال هو بنجوة من كذا إذا كان بعيدا .

وإلى هذا أشار صاحب الصناعتين حيث قال - وقيل : الفصاحة تمام آلة البيان فهي مقصورة على اللفظ لأن الآلة تتعلق باللفظ ، والبلاغة إنما هي إنهاء المعنى إلى القلب فكانها مقصورة على المعنى أ هـ .

وها نحن أولاء نشرحهما لك على الرأي الأخير فقد استقر عليه البحث ، وبالله التوفيق ، ومنه الهداية لأقوم طريق .

## الفصاحة

تقع الفصاحة وصفا للمفرد والكلام والمتكلم .

## فصاحة المفرد

فصاحة المفرد تتحقق بسلامته من أربعة عيوب (١) :

- ١- تنافر الحروف .
- ٢- غرابة اللفظ .
- ٣- مخالفة القياس .
- ٤- الكراهة في السمع .

## تنافر الحروف

صفة في الكلمة ينجم عنها ثقلها على اللسان وصعوبة النطق بها - ولا ضابط لذلك غير الذوق السليم ، والشعور الذي ينشأ من مزاولة أساليب البلغاء وليس منشؤة قرب مخارج الحروف كما قيل الا ترى أنك تجد الحسن في لفظ الجيش مع تقارب مخارج حروفه ، ونحوه ، الفم والشجر وتجد لفظ ملح بمعنى أسرع متباعد المخارج وهو متنافر - ولا طول الكلمات لأنه ان صح ذلك في نحو صهصلق (٢) وخنشليل (٣) وما جرى مجراهما ، فليس يصح في نحو ليستخلفهم في الأرض فسيكفيكهم الله .

(١) لتسلم من الخلل مادته وصيغته ومعناه .

(٢) الشديد من الأصوات .

(٣) السيف .

ولكن يمكن وضع ضابط اجمالى أساسه المشاهدة ، وهو أن أصول الابنية لا تحسن إلا فى الثلاثى وفى بعض الرباعى نحو عذب وعسجده أما الخماسى الأصول نحو سهصلق وجحمرش وما جرى مجراهما فإنه قبيح ، ومن ثمالم يوجد شئ من هذا الضرب فى القرآن الكريم إلا ما كان معربا من أسماء الأنبياء كإبراهيم وإسماعيل .

والتنافر ضربان :

١- شديد متناه فى الثقل كالصممع<sup>(١)</sup> والطسأسيج<sup>(٢)</sup> والظش<sup>(٣)</sup> .

٢- خفيف كالنقاخ<sup>(٤)</sup> والنقنقة<sup>(٥)</sup> والمثغنجر<sup>(٦)</sup> ومستشزرات فى قول امرئ

القيس :

غدائره مستشزرات إلى العلا تظل المدارى فى مثنى ومرسل<sup>(٧)</sup>

والضمير فى غدائره يرجع إلى فرع فى قوله قبله :

وفرع يزين المتن أسود فاحم اثيث كقنوا النخلة المتعشك<sup>(٨)</sup>

## الغرابية

هى كون الكلمة غير ظاهرة المعنى ولا مألوفة الأستعمال عند خلص العرب (لا عند المولدين لأن كثيرا مما فى المعاجم غريب عندهم) .

ولذلك سببان<sup>(٩)</sup> :

١- أحتهما إلى بحث وتفتيش فى كتب اللغة ، ثم يعثر على معناها بعد

(٢) جمع طسوج الفرية ونحوها .

(٤) الماء العذب .

(٦) السائل من ماء أو دمع .

(٧) غدائره أى ذوائبه جمع غديرة وهى الشعر المشدود بخيوط على الرأس ومستشزرات أى مرتفعات وتضل تغيب والمدارى جمع آلة تعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط أو أطول منه يسرح بها الشعر المتلبد والمثنى المفتول وضده المفتول وضده المرسل .

(٨) الفرع الشرع والأثيث الكثير والقنبر الكباشة والمتعشك كثير العشاكيل أى العيدان التى عليها البسر ومراده من كل ذلك الدلالة على وفرة شعرها وكان من عادة نساء العرب أن تشد قسما من الشعر كالرمانة ثم ترسل فوقه المثنى والمرسل .

(٩) لأن الغرابية أما فى الجوامد والمصادر المشتقات باعتبار مبادئها أى أصولها وهو القسم الأول ، وأما فى المشتقات باعتبار هيئاتها وهو القسم الثانى .

كمسحنفرة<sup>(١)</sup> وبُعاق<sup>(٢)</sup> وجرَدَحَل<sup>(٣)</sup> وجُحيش بمعنى فريد مستبد برأيه فى قول  
تأبط شرا يصف ابن عم له بكثرة الترحال :

يظل بموماة ويُمسى بغيرها جحيشا ويعرورى ظهور المسالك<sup>(٤)</sup>  
وهمرجلة وزيزم فى قول ابن جحدر :

حلفت بما أرقلت حـوله همسرجلة خلقتها شينظم  
وما شبرقت من تنوقية بها بها من وحى الجن زيزم<sup>(٥)</sup>

وربما لا يعثر على معناها كجحلنجع قال فى اللسان قال ابو تراب : كنت  
سمعت من أبى الهميسع حرفا وهو جحلنجع فذكرته لشمر بن حمدويه وتبرأت  
إليه من معرفته وكان أبو الهميسع من اعراب مدين لا تفهم كلامه وأنشدته ما كان  
انشدنى .

ان تمنى صوبك صوب المدمع يجرى على الخد كضئب الشعثع  
وطمحة صبيرها جحلنجع لم يحضها الجدول بالتسوع<sup>(٦)</sup>

قال فى المثل السائر ومن الغريب ما يعاب استعماله فى النثر دون النظم كلفظ  
مشمخر فى أبيات بشر فى وصف الأسد :

وأطلقت المهند من يمينى فخر مضرجا بدم كانى  
فقد له من الأضلاع عثرا هدمت به بناء مشمخرا<sup>(٧)</sup>

ولفظ الشدنية وهى ضرب من النوق فى قول ابى تمام :

(١) أى متسعة . (٢) المطر . (٣) السوادى .

(٤) الموماة المغازة ويقال للمستبد برأيه جحيش وحده بالتصغير عند أراداة الدم واعرورى الفرس ركبته عرباتا .

(٥) الأرقال ضرب من السير والهمرجلة الناقة السريعة والينظم الشديد الطويل من الأبل والخيول وشبرقت قطعت والتنوقية  
المغازة والوحى الصوت الخفى وزيزم حكاية صوت الجن إذا قالت زى زى على زعيمهم . يهيد أنه حلف بما سارت حوله  
الناقة الشديدة السير العظيمة الخلق وبما قطعت من مغازة لا يسمع فيها إلا صوت الجن .

(٦) الصوب المطر المنصب والضئب حب اللؤلؤ والشعثع : اللؤلؤ والطمحة النظرة والصبير السحابة البيضاء وحضا النار  
حركها والجدول النهر والتسوع تحريك الريح الفصن والتذبذب وصيرورة الشئ أنواعا .

(٧) قد : قطع والمضرج الملتخ بالدم والمشمخر العالى .

ياموضوع الشدنية الوجناء ومصارع الأدلاج والاسراء (١)

ثم قال : واعلم أن كل ما يسوغ استعماله فى الكلام المنشور يسوغ استعماله فى المنظوم دون العكس وذلك شئ استنبطه ودلنى عليه الذوق .

وقال الجاحظ فى البيان والتبين : ورأيت الناس يديرون فى كتبهم ، وأن امرأة خاصمت زوجها إلى يحيى بن يعمر فأنتهرها مرارا فقال له يحيى : ان سألتك ثمن شكرها وشبرك انشأت تطلعها وتضهلها (٢) ، فان كانوا قد رووا هذا الكلام لكى يدل على فصاحة وبلاغة فقد باعده الله من صفة البلاغة ، وأن كانوا فعلوا ذلك لأنه غريب فأبيات من شعر العجاج والطرماح تاتى لهم مع الوصف الحسن على أكثر من ذلك :

٢- أحتياجها إلى التخريج على وجه بعيد حتى يفهم منها المعنى المقصود نحو مسرجا وصفا للأنف فى قول رؤية بن العجاج ( شاعر إسلامى ) :

أيام ابدت واضحا مفلجا      أغر براقا وطرفا ابرجا  
ومقلة وحاجبا مزججا      وفاحما ومرسنا مسرجا (٣)

فالمرسن الأنف ولا يدري ماذا أراد بوصفه بمسرج ، ومن ثم أختلف أئمة اللغة فى تفسيره فأبن دريد قال هو من قولهم للسيف سريجى أى منسوبة إلى حداد يسمى سريجا فهو يريد تشبيهه بالسيف السريجى فى الدقة والاستواء ، وابن سيده صاحب المحكم قال : هو من السراج فهو يقصد أنه شبيه به فى البريق واللمعان ، وهذا قريب من قولهم سرج وجهه بالكسر أى حسن ، وسرج الله وجهه بهجه وحسنه .

وعلى كلا الحالين فهو غير ظاهر الدلالة على ذلك المعنى ، لأن مادة فعل

( ١ ) الأيضاع نوع من السير والوجناء عظيمة الوجنتين والادلاج والاسراء من سرى الليل .

( ٢ ) الشكر بفتح الشين وكسرها عضو التناسل والشبر النكاح وضهل فلان حقه نقصه وطله مطله .

( ٣ ) الضمير فى ابدت يعود إلى محبوبته لهلى فى الأبيات قبله وواضحا أى فما فيه أسنان واضحة والفلج تباعد ما بين الأسنان والأغر الأبيض والبريق اللمعان والبرج بالتحريك عظم العين وحسنها والتزجيج الترفيق مع تقويس وفاحما أى شعرا أسود كالقحم .

بالتشديد إنما تدل على مجرد نسبة شيء إلى آخر لا على التشبيه ، فدلالته عليه بعيدة ، وقريب من هذا امتناع استعمال اللفظ المشترك بين معنيين فأكثر بدون قرينة لما فيه من دخول الحيرة على السامع كأستعمال اللفظ المشترك بين المعنى وضده إلا إذا وجدت قرينة تخصصه بالمراد نحو عزز فإنه لفظ مشترك بين التعظيم والاهانة فلا تقول لقيت فلانا فعزرتة إلا بقرينة ومن ثم لم يستعمله القرآن الكريم إلا مع القرينة فقال ﴿ فالذين آمنوا معه وعزروه ونصروه ﴾ فذكر النصر قرينة على إرادة التعظيم .

### مخالفة القياس

كون الكلمة غير جارية على القانون الصرفي المستنبط من كلام العرب كجمع ناكس على نواكس بمعنى مطاطعى الرؤوس فى قول الفرزدق :

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم خضع الرقاب نواكس الابصار

« مع أن فواعل إنما تنقاس فى وصف لمؤنث عاقل لا لمذكر كما هنا » وكفك الأدغام فى أجلل من قول أبى النجم بن قدامة من رجأز الإسلام :

الحممد لله العلى الأجلل أنت ملك الناس ربا فأقبل

وأستعمال همزة القطع بدل همزة الوصل فى قول جميل :

الا لا أرى أثنين أحسن شيممة على حدثان الدهر منى ومن جمل<sup>(١)</sup>

وعكسه فى قوله - ان لم اقاتل فالبسونى برقعا .

فهذا وأمثاله قبيح يشين الكلام ويذهب بمائه<sup>(٢)</sup> .

قال فى الصناعتين : وإنما أستعمل ذلك القدماء لأنهم كانوا أصحاب بداية ، والبداية مزلة ، مع أن أشعارهم لم تكن تنقد عليهم ، ولو نقدت كما تنقد على شعراء هذه الأزمنة ويبهرج<sup>(٣)</sup> من كلامهم ما كان فيه أدنى عيب . لتجنبوه .

( ١ ) الشيمة الخلق والحدثان نوابغ الدهر وجمل محبوبته بثينة وكان بدلها بجمل .

( ٢ ) حسنه ورونقه .

( ٣ ) البهرج الردى .

وقال القاضي عبدالعزيز الجرجاني صاحب الوساطة بين المتنبى وخصومه : ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والاعلام الحجة – لوجدت كثيرا من أشعارهم معييا مترذلا ومردودا منفيًا ، لكن هذا الظن الجليل ستر عليهم ونفى الظنة عنهم فذهبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام أه .

ويستثنى من ذلك ما ثبت عن العرب من الشواذ نحو ابى يابى (١) وعبور (٢) واستحوذ (٣) وقطط (٤) شعره .

### الكراهة في السمع

\* هي أن تمح الكلمة الاسماع ، وتأنف منها الطباع لوحشيتها وغلظتها كالجرشى بمعنى النفس فى قول ابى الطيب يمدح سيف الدولة :

مبارك الاسم أغر اللقب كريم الجرشى شريف النسب (٥)  
وكالنقاخ فيما انشده شمر :

وأحرق ممن يلحق الماء قال لى دع الخمر واشرب من نقاخ مبرّد (٦)

لكن البصير بصنعة الكلام يعلم أن استئصال الطبع لما يسمع ، إنما يتصور من جهة غرابية الكلمة ووحشيتها ، ففي ذكر الغرابية غنية عن ذكرها .

### تدريب أول

بين ما أخل بفصاحة الكلمات التى وضعت بين قوسين ،

قال المتنبى يمدح سيف الدولة :

(١) قياس مضارعة الكسر لان المفتوح العين لا يكون إلا إذا كانت عين ماضيه أو لامة حرف حلق كسال ونفع .

(٢) القياس فيه عار لتحرك الواو وانفتاح ما قبلها .

(٣) القياس استحاذا . (٤) تجعد .

(٥) مبارك الاسم لان اسمه على من الملو وأغر اللقب أى مشهورة لانه سيف الدولة .

(٦) يلحق . يلحس والنقاخ العذب من الماء .

- ١- وما أرضى لمقلته بحلم  
٢- لم يلقها الا بشكة باسل  
٣- يا نفس صبرا كل حي لاق  
٤- فلا ييرم الامر الذي هو «حائل»  
٥- أن بنى للنائم زهده
- إذا انتبهت توهمه «ابتشاكاً»<sup>(١)</sup>  
يخشى الحوادث حازم «مستعدد»<sup>(٢)</sup>  
وكل «اثنين» إلى افتراق  
ولا «يحلل» الامر هو ييرم  
مالي في صدورهم من «موددة»
- ٦- كتب بعد امراء بغداد رقعة طرحها في المسجد الجامع حين مرضت امه فقال  
سين امرؤ ورعى دعا لامرأة «انقحلة» ، «مقسئنة» فقد منيت بأكل الطرموق فاصابها  
من اجله «الاستمصال» ان يمن الله عليها «بالاطرغشاش» و «الأبرغشاش»<sup>(٣)</sup> .

### الاجابة

الكلمة	الحكم	السبب
الابتشاك	غريبة	لقلة استعمالها ومن ثم قال الصاحب ابن عباد لم يسمع هذا اللفظ في شعر قديم ولا محدث
مستعدد	مخالف للقياس	إذ الواجب في هذه الحالة الأذغام
اثنين	»	إذ جعل همزة الوصل همزة قطع وأثبتها
حائل	»	إذ الواجب الأذغام في مثل هذا
يحلل	»	»
موددة	»	»
انقحلة	غريبة متنافرة	لقلة الاستعمال وثقل النطق
مقسئنة	غريبة	»
الاستمصال	غريبة متنافرة	»
الأطراغشاش	»	»
الأبرغشاش	»	»

(١) الابتشاك الكذب والحلم والرؤيا التي يراها النائم . (٢) الضمير يعود إلى الحرب والشكة الخصلة والباسل الشجاع .  
(٣) انقحلة بايسة ومقسئنة مسنة عجوز ومنبت ابتليت والطرموق الحفاش والاستمصال الأسهال والأطراغشاش والأبرغشاش  
البرء من المرض .

## تدريبان

بين ما أخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين .

١- قال ابن نباتة في خطبة له يذكر أهوال يوم القيامة .

( أقمطر ) وبالها ، و ( أشمخر ) نكالها ، فما ساغت ولا طابت <sup>(١)</sup> .

٢- يوم ( عصبب ) و ( هلوف ) ملا السجسج طلا <sup>(٢)</sup> .

٣- قد قلت ( اطلخم ) الامر وانبعثت عشواء تالية غنيسا «دهاريسا» <sup>(٣)</sup>

٤- نعم متاع الدنيا حباك به أروع لا «جيدر» ولا جيس <sup>(٤)</sup>

٥- تقى نقى لم يكثر غنيمة بنكهة ذى قريبي ولا ( بحقلد ) <sup>(٥)</sup>

٦- قال امرؤ القيس حين ادركته المنية وكان قد ذهب الى ملك الروم يستنجده

على قتلة ابيه ، رب جفنة ( مشعنجرة ) وطعنة ( مسحنفرة ) ، وخطبة مستحضرة ،  
وقصيدة محبرة ، تبقى غدا بانقرة <sup>(٦)</sup> .

( ١ ) أقمطر اشتد والوبال الثقل والوخامة واشمخر طال .

( ٢ ) العصبب الشديد الحر والهلوف الذى يستتر غمامه شمسه والسجسج الارض السهلة والظل المطر التدى او المطر القليل .

( ٣ ) اطلخم اشتد وعظم والدهاريس الدواهي والعشواء الناقة الضعيفة البصر والغبير جمع اغيس وغيساء وهى الشديدة الظلمة وهو لابي تمام ويعدده :

لى حرمة بك أضحي حق نازلها وفقا عليك فدتك النفس محبوبا

( ٤ ) حباك اعطاك والأروع والمعجب والجيدر القصير والجيس الثقيل .

( ٥ ) النهكة الغلب والحقلد الأثم .

( ٦ ) المشعنجرة الملاى والمسحنفرة المتسعة وانقرة بلد بأسيا الصغرى .

## الإجابة

الكلمة	الحكم	السبب
اقمطر	متنافرة	لثقل النطق بها
اشمخر	غريبة	لقلة الأستعمال
عصبص	»	»
هلّوف	»	»
اطلخم	غريبة غليظة في السمع	لقلة أستعمالها ووجشيتها
دهاريس	»	لقلة أستعمالها ووجشيتها
جيدر	غريبة	»
حسقلد	»	»
مثنجرة	متنافرة	وثلث النطق بها
مسخنفرة	»	»

### تمرين (١)

بين ما أخل بفصاحة الكلمات التي وضعت بين قوسين :

- ١- تشكو الوجى من (أظلل واطلل)
- ٢- فأرحام شعر تتصان (الدنثة)
- ٣- رواق العز حولك (منسبطر)
- ٤- لأنسب اليبوم ولاخلة
- ٥- فأيقنت أنى عند ذلك نائر
- من طول املال وظهر ممل (١)
- وأرحام مال مانى تتقطع (٢)
- وملك على ابنك فى كمال (٣)
- (اتسع) الفتق على الراقع (٤)
- غدا تئذ أو هالك فى (الهوالك) (٥)

(١) الوجى الخفى والأظلل باطن خف البعير وبعير ممل أكثر ركوبه حتى دبر ظهره

(٢) تئى متأخر، وتتقطع تتمزق .

(٣) مسبطر ممتد .

(٤) الخلة الصداقة والفتق الشق والراقع مصلح الفتق .

(٥) النائر الذى لا يبقى على شئ حتى يدرك ناره .

٦- قال أبو علقمة يوماً لحاجمه ، أرهف ظببات المشارط ، وأمر المسح ،  
(واستنجل) الرشح وخفف الوطاء ، وعجل النزع ، ولا تكرهنّ أبياً ، ولا تردنّ اتيا  
فقال له الحجام ليس لى علم بالحروف (١) .

## تعريف (٢)

بين ما أخل بفصاحة الكلمات التى وضعت بين قوسين :

- ١- جرت سحا فقلت لها (اخبرينى) نوى مشمولة فمتى اللقاء (٢)
- ٢- مهلا اعاذل قد جربت من خلقي أنى أجود لأقوام وأن (ضننوا)
- ٣- من كلام ام الهيثم الأعرابية لأبى عبيدة الراوية وقد عاها فى علة اصابتها ،  
كنت وحمى (سدكة) ، وشهدت مأدبة ، فأكلت (جُبْجُبة) ، من صفييف (هلعة)  
فأعترتنى (زلخة) ، فقليل لها أى شئ تقولين ، فقالت أو للناس كلامان والله ما  
كلمتكم إلا بالعربى الفصيح (٣) .
- ٤- يا نرجس الدنيا أقم ابدا (للأقتراح) ودائم النخب (٤)
- ٥- قال بعض الأدباء لكاتبه يوصيه بحسن الجلسة للكتابة والاستماع لما  
يملى عليه ، الصق روانفك (بالجبوب) ، وخذ المسطر (بشئاترك) ، وأجبل  
(حتدورتيك) إلى (قيهلى) ، حتى لا أنفى نفية ، إلا أودعتها (حماطة  
جلجلاتك) (٥) .

(١) أرهف رفق والظببات جمع ظبة وهى السيف والموسى والمشارط جمع مشرط وهو مبضع الحجام الذى بشرط به الجلد  
واستنجل استخرج والرشح النز والابى الممتنع والأتى الجمائى والحروفهنا اللغات .

(٢) السح الشديدة والنرى البعد وهو خبر لمبتداء محذوف أى هذه والمشمولة العامة .

(٣) سدكة مشتمية للطعام والجبجبة كرش يحشى باللحم المقطع والصفيف الشواء والهلعة انشى المعز والزلخة وجع فى  
الظهر .

(٤) الاقتراح الأبداع ، والاختيار والنخب الشربة العظيمة من الخمر وغيرها .

(٥) الروانف جمع راتفة الالية والجبوب الأرض والقلم والشئاتر الأصابع والحدورتان حدقتا العين والقيهل الوجه والحماطة  
حبة القلب والجلجلان الصدر .

## فصاحة الكلام

يراد بالكلام هنا ما يشمل المركب التام والناقص<sup>(١)</sup> .

وفصاحته تكون بسلامته من كل ما يتعلق به معناه وينبهم مغزاه ، وإلا كان ومردودا خارجا عن حدود البلاغة ، ورسوم الفصاحة ، ولو أحتوى على أجل المعانى وأشرفها وإنما يتم له ذلك إذا عرى عن الأشياء الأتية :

١- تنافر الكلمات مجتمعة ، ويدخل فيه كثرة التكرار وتتابع الإضافات .

٢- ضعف التأليف .

٣- التعقيد اللفظي .

٤- التعقيد المعنوي .

## تنافر الكلمات - المعازلة<sup>(٢)</sup> اللفظية

هو وصف يعرض للكلمات مجتمعة فيوجب ثقلها واضطراب اللسان عند النطق بها ، وقد علم بالاستقراء أن منشأه أما :

١- تكرير حرف أو حرفين من كلمة فى المنثور أو المنظوم ، وهو قسمان

(أ) ما أشد ثقله وتناهى كالذى أنشده الجاحظ :

وقبر حرب بمكان قفرٌ وليس قرب قبير حرب قبرٌ<sup>(٣)</sup>

فأنت ترى أن قافاته وراءاته قلقلة نابية ، وكأنها سلسلة تتبرأ بعض حلقاتها من بعض .

(ب) ما كان فيه بعض الثقل كقول أبى تمام :

(١) كالمركب الإضافي والمركب التقييدى . وهو مجاز من إطلاق الخاص على العام .

(٢) عاظم الكلام عقده ووالى بعضه فوق بعض .

(٣) حرب هو حرب بن أمية بن عبد شمس ولشدة الثقل فيه زعموا إنه من شعر الجين قالوه لما قتلوه بنار حية منهم وديبه بناحية بعيدة وقفر نعت مقطوع للضرورة أو هو خير والباء بمعنى فى أى فى مكان .

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى وإذا ما لته لته وجدى (١)  
وقول المتنبي :

كيف ترثى التى ترى كل جفن راءها غير جفنها غير راقى (٢)

فتكرار الحاء والهاء المتقاربتى المخرج فى بيت أبى تمام ، والجيم والراء فى أكثر كلمات بيت المتنبي ، أوجب الثقل فيهما .

وقال بعض الوعاظ فى كلام أورده « حتى جنات و جنات جنات الحبيب » فلما سمعه بعض الحاضرين صاح وقال ، سمعت جيما فى جيم فصحت .

٢- إيراد أفعال يتبع بعضها بعضا بدون عطف ، سواء اختلفت بين المضى والاستقبال نحو قول القاضى الأرجانى يحدث عن الشمع :

بالنار فرقّت الحوادث بيننا وبها نذرت أعود أقتل روحى (٣)  
أم لم تختلف كقول المتنبي يمدح سيف الدولة :

أقل أنل أقطع أحمل على سل أعد زد هس بش تفضل أدن سر صل (٤)

فورود نذرت أعود أقتل متتابعة على تلك الشاكلة فى البيت الأول جاء ثقيلًا متعاطلا ، كما أن مجئ أفعال الأمر متكررة فى البيت الثانى جعل للثقل فيها حظًا عظيمًا - فإن جاءت الأفعال مع حرف العطف لم تكن فى الثقل كالأول نحو قول عبد السلام بن رغبان المعروف بديك الجن :

أحل وأمر وضرّ وانفع ولن وأخشن وأبرر ثم أنتدب للمعالى (٥)

(١) وفيه عيب آخر وهو مقابلة المدح باللوم وإنما يقابل بالذم وكأنه أراد أن ينفى الذم عنه بنفية اللوم بالطريق الأولى .

(٢) راءها راءها فحصل فيه أعلال بالقلب بتقديم الألف وتأخير الهمزة ورقا الدمع أنقطع ، يريد أنها لا ترحم باكبيا لأنها تحسب الدمع فى أجفان العشاق خلقيا .

(٣) يقول بلسان الشمع انه الف العسل وهو أخوه الذى ربه معه ، لكن النار فرقّت بينه وإنه نذر أن يقتل نفسه بها أيضا من ألم الفراق .

(٤) أقل من الأقالة وأقطع من الأقطاع لارض ونحوها وعل من العلو وصل أى بالعطية .

(٥) أبرر من قولهم أبر اليمين أمضاها على الصدق وانتدب لكذا ساسها .

٣- إيراد صفات متعددة على طريق واحدة كقول المتنبي فى المديح وقد أولع كثيرا بهذا النوع :

دان بعيد محب مبغض بهج      اغر حلو ممر لين شـرس  
ند أبى غر واف اخى ثقة      جعد سرنة ندب رضى ندس (١)

ولا يخفى ما فيه من الثقل فما أشبهه بسلسلة طويلة متصلة الحلقات .

٤- تعاقب الأدوات ومجئ بعضها أثر بعض كمن والى وفى وعن وعلى كقول أبى تمام :

كأنه فى أجماع الروح فيه له      فى كل جارحة من جسمه روح (٢)  
وقول المتنبي يصف فرسا :

وتسعدنى فى غمرة بعد غمرة      سبوح لها منها عليها شواهد (٣)

فمجئ فى بعد له فى البيت الأول ، ولها منها عليها فى البيت الثانى ، أورث فيهما ثقلا جعل اللسان يتعثر عند النطق بهما ، قال صاحب الصناعتين ، وسبيل تلافى ذلك ان تفصل بين الحرفين كأن تقول أقمت به شهيدا عليه .

٥- تتابع الإضافات كما تقول سرج فرس تابع الأمير ، وعليه ورد قول ابن بابك .

حمامة جرعى حومة الجندل اسجعى      فأنت بمرأى من سعاد ومسمع (٤)

قال فى دلائل الأعجاز : ومن شأن هذا الضرب ان يدخله الاستكراه ، قال صاحب بن عباد ، إياك والإضافات المتداخلة ، وذكر إنه يستعمل فى الهجاء كقوله :

---

(١) الشرس الصلب هنا والفرى المغرى بفعل الجميل وجعد الماضى فى الامور والسرى الشريف والنهى العاقل والتدب السريع فى اموره والندس المعارف البحاثة ، يريد إنه محب لاهل الفضل مبغض لاهل النقص يبهج بالقصا ويحلو لاوليائه ويمر على أعدائه .

(٢) الجارحة العضو يريد أنه يقظ نشيط .

(٣) الغمرة الشدة والسيوح الفرس الحسن العدو الذى لا يتعب راكبه كأنه يسبح فى الماء يريد إنه يعينه على الشدائد وله شواهد دالة على كرم خصاله .

(٤) الجرعى تانيت الاجرع وهى الرملة لانبت شيئا والحومة معظم الشئ والجندل الحجارة والسجع هديل الحمام . المعنى اطربى لان الحبيبة تراك وتسمعك .

يا على بن حمزة بن عمارة أنت والله ثلجة فى خياره (١)  
(تنبيه) لا يقبح القسمان الاخيران إلا إذا أوجبا ثقلا على اللسان ، وإلا فلا  
يخلان بالفصاحة ، فقد تكررت الأدوات وكانت حسنة مليحة فى قول قَطْرَى بن  
الفجاءة :

ولقد أرانى للرماح دريئة من عن يمينى مرة وأمامى (٢)  
كما تكررت الأضافات ولطفت فى قوله تعالى ﴿ ذكررحمة ربك عبده زكريا ﴾  
وقول ابن المعتز :

وظلت تدير الراح أيدى جآذر عتاق دنانير الوجوه ملاح (٣)  
ومن ذلك تعلم إنه لا وجه لعد هذين القسمين بعيدى عن التنافر .

### ضعف التاليف

هو أن يكون تاليف الكلام مخالفا لما أشتهر من قوانين النحو المشهورة  
كوصل الضميرين وتقديم غير الأعراف (مع وجوب الفصل فى نحو هذا) كقوله  
المتنبى :

خلت البلاد من الغزاة ليلها فأعلضهاك الله كى لا تحزنا (٤)  
وكنصب المضارع بلا ناصب نحو :

أنظرا قبل تلومانى إلى طلل بين النقا والمنحنى (٥)  
وكحذف نون يكن فى الجزم حين يليها ساكن نحو :

---

(١) قوله ثلجة فى خياره أى خياره فى ثلجة ، وفى هذا اشتباه من عبد القاهر لأنه ليس فيه تنابع أضافات .  
(٢) الدرية الحلقة التى يتعلم عليها الطعن والرمى (النشان) .  
(٣) الراح الخمر والجآذر جمع جوذر ولد البقر الوحشية تشبه به الحسنان لجمال عينيه ، والعتاق النجايب ودنانير الوجوه أى  
وجوههم متلألئة كالدنانير .  
(٤) الغزاة الشمس ، يهد أن البلاد إذا خلت من الشمس ليلا جعلك الله عوضا منها .  
(٥) الطلل ما بقى من آثارالديار والنقا والمنحنى موضعان .

لم يك الحق سوى أن هاجمه رسم دار قد تعفت بالمرر<sup>(١)</sup>  
وكالاضما رقبل الذكر لفظا ومعنى وحكما<sup>(٢)</sup> فى قول حسان بن ثابت :  
ولو أن مجدا اخلد الدهر واحدا من الناس أبقي مجده الدهر مطعما<sup>(٣)</sup>

### التعقيد

هو الا يكون الكلام ظاهر الدلالة على المعنى المراد . ولذلك سببان . أحدهما يرجع إلى خلل فى النظم والتركيب وهو التعقيد اللفظى . وثانيهما يرجع إلى المعنى وهو التعقيد المعنوى .

### التعقيد اللفظى<sup>(٤)</sup>

حقيقته أن تكون الألفاظ مرتبة لا على وفق ترتيب المعانى . فيفسد نظام الكلام وتأليفه بسبب ما يحصل فيه من تقديم وتأخير ونحو ذلك كتقديم الصفة على الموصوف ، والصلة على الموصول .

وهو مذموم مرفوض عند أهل البيان لأنه يوجب اختلال المعنى واضطرابه ، وذلك ضد الفصاحة التى هى ظهور وأبانة ، ومن ثم قال العتائى : الألفاظ أجساد والمعانى أرواح ، وإنما تراها بعين القلوب ، فإذا قدمت منها مؤخرا أو أخرت منها مقدما ، أفسدت الصورة وغيرت المعنى ، كما لو حول رأس إلى موضع يد أو يد إلى موضع رجل فإن الحلقة تتحول والحلية تتغير .

وأكثر من أستعمله الفرزدق وكأنه كان يقصده لأن مثله لا يجئ إلا متكلفا ، إذ لو

(١) هاج نار ورسم الدار اثرها وتعفت درست وأضحلت والمرر موضع .

(٢) فان تقدم الضمير لفظا وتأخر معنى جاز نحو ضرب علامة محمد وكذا ان تقدم لفظا وتأخر حكما نحو نعم رجلا على .

(٣) يرثى مطعم بن عدى احد رؤساء المشركين وكان يدافع عن النبى عليه الصلاة والسلام .

(٤) قد يحصل التعقيد باجتماع عدة أمور موجبة لصعوبة فهم المعنى وأن كان كل منها جاريا على قانون النحو فلا يغنى ذكر ضعف التأليف عنه .

خلى الإنسان ونفسه تجرى على سجيتها فى الأسترسال لم يعرض لها شئ من هذا النوع فمن ذلك قوله يمدح الوليد بن عبد الملك :

إلى ملك ما أمه من محارب      ابوه ولا كانت كليب نساها (١)

يريده إلى ملك أبوه ليست أمه من محارب ، فقدم وأخر حتى أيهم المعنى .

وقوله فى البيت المشهور الذى جرى مجرى المثل فى التعقيد يمدح به إبراهيم بن هشام بن إسماعيل الخزومى خال هشام بن عبد الملك :

وما مثله فى الناس إلا مملكا      أبو أمه حى أبوه يقار به (٢)

مراده وما مثل هذا الممدوح فى الناس حى يقاربه ويشبهه فى الفضائل الا مملكا أبوام ذلك المملك أبو الممدوح ، فىكون الممدوح خال الملك وخلاصة ذلك إنه لا يماثله الا ابن اخته .

فأنظر رعاك الله كيف عقد المعنى وصار به الى التعمية دون الإفصاح ، ولهذا قال الرمانى ، قد أجمع فى البيت أسباب الأشكال الثلاثة ، سوء الترتيب وبه تغير نظام الكلام ، وسلوك الطريق الا بعد فى قوله ابو أمه أبوه وكان بجزئه أن يقول خاله وإيقاع مشترك الالفاظ فى قوله حى يقاربه ، لأنها لفظة تشترك فيها القبيلة والحى من سائر الحيوان بالحياة .

قال فى المثل السائر ومن أقبح هذا النوع قول الآخر :

فأصبحت بعد خط بهجتها      كأن قفرا رسوما قلما (٣)

يريد فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسوما ، ففصل بين الفعل الناقص وخبره ، وبين كأن وأسمها ، وبين المضاف والمضاف إليه ، وقدم خبر العباس بن الأحنف .

(١) محارب وكليب فيلطان .

(٢) فيه فصل بين المبتدأ والخبر وهو أبو أمه أبوه بالاجنبى الذى هو حى ، وبين الموصول والصفة أعنى حى يقاربه بالاجنبى الذى هو أبوه وتقديم المستثنى أعنى مملكا على المستثنى منه وهو حى وفصل كثير بين البدل وهو حى والمبدل منه وهو مثله .

(٣) الظاهر أنه بصف ديارا درست وعفت آثارها .

## التعقيد المعنوي

هو خفاء دلالة الكلام على المعنى المراد من أجل ما عاقها من اللوازم البعيدة والكنائيات المفتقرة إلى وسائط ، أو اللوازم القريبة الخفية العلاقة ، مع عدم ظهور القرائن الدالة على المقصود فيعجز الكلام عن أداء المعنى ، كقول العباس بن الأحنف .

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

يريد أنه يتحمل الفراق وآلامه ، ويوطن النفس على الحزن والأسى ، عله يحظى بوصل يدوم ، وسرور لا ينقطع ، فطالما نال الصابرون أمانهم ، وفرجت كربهم ، وهذا المعنى مطروق لهجت به السن الشعراء والكتاب ، قال عروة ابن الورد :

تقول سليمي لو أقيمت بأرضنا ولم تدرأني للمقام أطوف

وقال أبو تمام :

آلفة النحيب كم افتراق ألم فكان داعية اجتماع<sup>(١)</sup>

وقيل للربيع بن خيثم وقد صلى ليلة حتى أصبح - اتبعت نفسك فقال راحتها أطلب .

إلا أن ابن الأحنف لم يتم له ما أراد على سنن قويم . فإنه كنى عما قصد بكنائيتين أصاب في أولاهما . المحز وطبق الفصل . وأخطأ في أخراهما وجه الحقيقة ، ولم يسلك المهيع الواضح في الرمز والایماء إلي ما أراد - بيان هذا إنه دلّ بديشا بسكب الدمع على ما يلزم فرقة الأحباب من الحزن والكمد والتعب والنصب - فأصاب شاكلة الصواب . فان البكاء عنوان الحزن والامارة الدالة عليه . فيرمز به إليه حتى قالوا (ابكاني واضحكني) على معنى ساءني وسرنى . كما قال الحماسي :

ابكاني الدهر ويسا ربما اضحكني الدهر بما يرضى<sup>(٢)</sup>

(١) ألم نزل . والنحيب البكاء .

(٢) قبله : انزلني الدهر على حكمه . من شامخ عال إلى خفض .

ثم تلا ذلك فدل بجمود العين على ما يوجبه دوام التلاقي من الفرح والسرور لكن التوفيق لم يكن حليفه في هذا . إذ الجمود إنما هو خلو العين من البكاء عند الداعية إليه . فهو كناية عن البخل بالدموع حين الحاجة إليها كما قال أبو عطاء يرثى ابن عبيرة .

الا أن عينا لم تجمد يوم واسط عليك يجارى دمعها جمود  
لا كناية عن السرور لأنه لو صح ذلك لجاز أن يدعى به فيقال لا زالت عينك جامدة . كما يقا لا أبكى الله عينك . ولا خفاء في بطلان ذلك كما يرشد إليه قول أهل اللغة سنة جماد لا مطر فيها وناقة جماد لا لبن فيها . على معنى أن السنة بخيلة بالقطر والناقة لا تسخو بالدر .

وهكذا حال الكنايات التي أستعملها العرب لأغراض إذا غيرها المتكلم وأراد بها أغراضا أخرى كما إذا أستعمل قولهم بيته كثير الجرذان . كناية عن وسخ المنزل وسوء نظامه ، وقوله ابيض سربال الطباخ كناية عن نظافة الطاهي وحسن هدايته - كان ذلك خروجا من سنن العرب وأستعمالاتهم وعد ذلك تعقيدا إذ هذا غير ما يتبادر إلي الفهم لأن العرب كنت بالأولى عن كثرة الطعام وبالثانية عن البخل .

### تدريب أول

أذكر ما أخل بفصاحة الكلام فيما يلي :

- ١- تعال فان عاهدتني لاتخونني
  - ٢- لما رأى طالبوه مصعبا ذعروا
  - ٣- لو كنت كنت كتمت السر كنت كما
  - ٤- لما عصني أصحابه مصعبا
  - ٥- ولم أر مثل جيرانى ومثلى
- نكن مثل من ياذئب يصطحبان  
وكاد لو ساعد المقذور ينتصر  
كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن  
أدوا إليه الكيل كيلا بصاع  
لمثلى عند مثلهم مقام

## الإجابة

- ١- في البيت تعقيد لفظي . إذ تقديره نكن يا ذئب مثل من يصطحبان .
- ٢- فيه ضعف التأليف . لأن الضمير في طالبوه يعود إلى مصعب وهو متأخر لفظا ومرتبة .
- ٣- فيه تنافر في الكلمات ، أوجه تكرار لفظ كنت عدة مرات .
- ٤- فيه ضعف التأليف . لأن الضمير في أصحابه يعود إلى مصعب المتأخر لفظا ومرتبة .
- ٥- فيه تنافر في الكلمات سببه تكرار لفظ مثل .

## تدريبان

أذكر ما أخل بفصاحة الكلام فيما يلي :

- ١- ولذا اسم اغضية العيون جفونها
  - ٢- تجمعت في فؤداهم همم
  - ٣- الاليت شعري هل يلومن قومه
  - ٤- لو لم تكن من ذا الوري اللذمنك
  - ٥- قبيل انت أنت أو كنت منهم
  - ٦- جواب مسائلي أله نظير
- من أنها عمل السيوف عوامل  
ملء فؤاد الزمان أحداها  
زهيرا على ماجر من كل جانب  
هو عقتت بمولد نسلها حواء  
وجسدك بشر الملك الهمام  
ولا لك في سؤالك لا ألا

## الإجابة

- ١- فيه تعقيد لفظي لأن تقديره من أجل أن العيون عوامل عمل السيوف سميت اغطيتها جفونا .
- ٢- فيه تنافر أوجه ثقل النطق بالهاء والميم مجتمعين في كلمتين .
- ٣- فيه ضعف التأليف . لأن الضمير في قومه يعود إلى متأخر لفظا ورتبة .
- ٤- فيه تنافر . لثقل تأليف البيت وركعة صوغه .

- ٥- فيه تعقيد وتنافر . لان تقديره قبيل أنت على شرف قدرك ، أنت منهم وأنت أنت ، وإذ كنت منهم وجدك بشر فكفاهم بذلك فخرا .
- ٦- فيه تنافر . أوجبه تكرار لا عدة مرات ، حتى قال الصاحب بن عباد : ما قدرت ان مثل هذا البيت يلج سمعا وقد سمعت الفأفاء ولم أسمع بالألا حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف الذى لا يقف حيث يعرف .

### تقرين (١)

اذكر سبب خروج ماياتى من الأساليب الفصيحة :

- |                                   |                                  |                            |
|-----------------------------------|----------------------------------|----------------------------|
| ١- وأزور من كـ                    | ان له زائرا                      | وعاف عافى العرف عرفانه (١) |
| ٢- لم تر من نادمت الا كـ          | لا لسوى ودك لى ذا كـ             |                            |
| ٣- وبه يضمن على البرية لا بها     | وعليه منها لا عليها يوسى (٢)     |                            |
| ٤- هو السيف الذى نصر بن أروى      | به عثمان مروان المصاب            |                            |
| ٥- ونهنت نفسى بعدما كدت أفعله (٣) |                                  |                            |
| ٦- الطيب أنت اذا اصابك طيبة       | والماء أنت اذا اغتسلت الغاسل (٤) |                            |

### تقرين (٢)

- |                                 |                         |
|---------------------------------|-------------------------|
| ١- وقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا | قلقل عيس كلهن قلاقل (٥) |
| ٢- ليس الاك يا على همـ          | سيفه دون عرض مسلول      |
| ٣- ومن جاهل بى وهو يجهل جهله    | ويجهل علمى انه بى جاهل  |

(١) أزور : عدل ، وعاف : كره ، والعافى : طالب المعروف ، والعرف : التوال والعطاء .  
(٢) الضن : البخل والبرية : الخلق . يوسى : يحزن ، يريد انه يبخل بالمدوح على الناس كلهم لا بهم يبخل عليه .  
(٣) نهنت : كف وزجر .  
(٤) يريد انك اطيب من الطيب واطهر من الماء اذا اغتسلت به .  
(٥) قلقل حرك والحشا داخل الجوف وقلقل الاولى جمع قلقلة وهى ندقة لسريعة والثانية جمع قلقلة وهى الحركة ، وضمير كلهن للعيس لا للقلقل ، والمعنى : حركت بسبب الهم الذى حركت نفسى نوقا خفافا فى السير سرهعات الحركة .

- ٤- صان اللثيم وصنت وجهي ماله      وونى فلم يبذل ولم اتبذل (١)  
 ٥- فما من فتى كنا من الناس واحد      به نبتفى منهم عديلا نبادله (٢)  
 ٦- فستنتنى فـجنتنى تجنى      بتـجن يفتن غب تجنى (٣)  
 ٧- زار داود دار اروى وأروى      ذات دل اذا رأت داودا (٤)

### فصاحة التكلم

هي صفة راسخة في نفس المتكلم يقتدر بها على التعبير عما يجول في خاطره من الأغراض والمقاصد .

ويتلك الصفة يتمكن من صياغة ضرورب الكلام من مديح وهجاء وتهان ومراث وخطب محيرة ووسائل منمقة في الوعظ والأرشاد والمفاخرات والمنافرات .

ولن يبلغ شاعر أو ناثر هذه المنزلة الا إذا كان ملما باللغة كثير الإطلاع على كتب الأدب ، محيطا بأسرار أساليب العرب ، حافظا لعيون كلامهم من شعر جيد وأثر مختار ، عالما بأحوال الشعراء والخطباء ، ومجالس الملوك والأمراء ، محيطا بعادات العرب وأخبار أيامهم .

### البلاغة

تقع البلاغة وصفا للكلام ، والتكلم ، لم يسمع وصف الكلمة بها .

### بلاغة الكلام

بلاغة الكلام مطابقته لمقتضى الحال التي يورد فيها مع فصاحته (٥) .

- 
- (١) الأصل صان اللثيم ماله وونى فلم يبذل وصنت وجهي ولم اتبذل .  
 (٢) تقديره فما فتى واحدا من الناس كنا نبتفى به عديلا نبادله منهم أى انه لا نظيره يكون عوضا منه .  
 (٣) تجنى آخر المصراع الاول اسم امرأة وتجن أى بدعوى ذنب ويفتن بتنوع وغب عقب .  
 (٤) أروى اسم امرأة والبدال الدلال .  
 (٥) فاذا قلت فلان مستعد للأمر لم يكن بليغا .

ولن يطابق الحال إلا إذا كان وفق عقول المخاطبين وأعتبر طبعاتهم فى البيان وقوة المنطق ، فللسوقة كلام لا يصح غيره فى موضعه والغرض الذى يبنى له ، ولسراة القوم والامراء فن اخر لا يسد مسده سواه ، ولقد أفصح عن ذلك الخطيئة حين خاطب عمر بن الخطاب فقال :

تحن على هـداك المليك فان لكل مقام مقالا

قال صاحب الصنائع : وربما غلب سوء الراى وقلة العقل على بعض علماء العربية فيخاطبون السوقى والمملوك والأعجمى بألفاظ أهل نجد والسراة كأبى علقمة إذ قال لطبيب (أجد رسيسا فى اسناخى وارى رجعا فيما بين الوابلة الى الاطرة من دايات العنق<sup>(١)</sup>) فقال له الطبيب (متهكما) هى من وجع القرشى ، قال له وما يبعدنا منهم ياعدى نفسه ، نحن من أرومة واحدة ونجل واحدة ، قال الطبيب : كذبت وكلما خرج هذا الكلام من جوفك كان أهون لك قال : بل لك الهوان والخسارة والسبابا) .

ومما سبق تعلم أن :

- ١- الحال (المقام) هو الأمر الذى يدعو المتكلم إلى إيراد خصوصية فى التركيب .
  - ٢- المقتضى (الاعتبار المناسب) هو الصورة المخصوصة التى توردها العبارة .
  - ٣- مقتضى الحال هو إيراد الكلام على تلك الصورة .
- فمثلا الوعظ حال ومقام يقتضى البسط والأطناب . وذلك البسط مقتضى وإيراد الكلام على صورة الأطناب مطابقة للمقتضى .

وكذا كون المخاطب منكرا يوم البعث حال يقتضى التأكيد ، والتأكيد مقتضى ، وكونك تخاطبه بقولك ( أن يوم الساعة لا شك فيه ) مطابقة لمقتضى الحال ، وهكذا مقام الذكى يخالف فى الخطاب مقام الغبى ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف لان لكل منهما من الاعتبارات واللطائف وما يخالف ضده .

---

(١) الرسيس ابتداء الحمى اذا فتر الجسم والاسناخ منابت الاسنان والوابلة طرف الكتف والاطرة كل ما احاط بشئ ودابات العنق فقارها .

## مراتب البلاغة

بلاغة الكلام متفاوتة لأن الألفاظ اذا ركبت لافادة المعانى المرادة منها حصل لها بالتركيب صور مختلفة لا يحصرها العد الا ترى ان طلبية الفرقة اذا كتبوا فى موضوع واحد فى منشئاتهم تناولوا معانى متقاربة أو متشابهة ، لكنهم يتفاوتون فى الأشياء الآتية :

١- العبارة التى ينشئونها .

٢- ترتيب المعانى .

٣- بسط الألفاظ أو إيجازها .

وكلما كان المتكلم اكثر مراعاة للمقتضيات والاعتبارات أزداد الكلام حسنا ، وكلما كان أوفى بها كان ابلغ ، وبالعكس اذا قل وفاؤه بتلك الخصوصيات المعتبرة عند البلغاء كان أقل مرتبة فى البلاغة ، ولا يزال ينزل حتى يصل إلى المرتبة السفلى فيلتحق عند البلغاء بأصوات الحيوان وأن كان صحيح الاعراب .

والمرتبة العليا وما يقرب منها هى مرتبة المعجز وهو كلام الله تعالى الذى عجز البشر قاطبة ان يأتوا بأقصر سورة من مثله ، وقد نزل فى أرقى العصور فصاحة وأكملها بلاغة ، ومع ذلك وجم العرب وخرست شقاشقهم مع طول التحدى وشد النكير عليهم وحقت له الكلمة العليا .

ثم يليه فى الرتبة كلام رسوله عليه السلام فقد أوتى من جوامع الكلم ما حارت فى أمره جهابذة الفصاحة وأساطين البلاغة ، ثم كلام البلغاء من العرب جاهليين وإسلاميين .

## شواهد

من فصيح الكلام تشرح أسرار الفصاحة وتبين مراتب البلاغة .

القرآن الكريم هو الينبوع الذى لا يغيض ماؤه ، والشجرة التى لا ينقطع ثمرها والجديد الذى لا تبلى جمادته ، فقد ضرب الأمثال . وتفجرت منه ضروب الحكمة ،

وقص علينا من أخبار الماضين وسير الغابرين ما فيه العبرة لمن كان له قلب أو القى  
السمع وهو شهيد .

وبسط ذلك برائح الأساليب ، وبديع التراكيب ، أنظر إلى ما جاء فيه عند ذكر  
الحساب والصراط والميزان تجدد اللفظ الجزل والقول الفصل نحو ﴿ ونفخ في الصور  
فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم  
قيام ينظرون . وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجئ النبيين والشهداء وقضى  
بينهم بالحق وهم لا يظلمون ﴾ كما تجدد السهل المهلهل خطابا لنبيه عليه السلام نحو  
﴿ والضحى والليل إذا سجي ما ودعك ربك وما قلا ﴾ إلى آخرها .

وقد أغترفت السنة النبوية من ذلك البحر وقطفت من تلك الرياض ، فأوتيت من  
موجز الحكم وجامع الكلم ما لا يزال نجمة الرائد ، وكعبة القاصد ، فمن جزلها قوله  
عليه السلام : ﴿ يا ابن آدم تؤتى كل يوم برزقك وأنت تحزن ، وينقص كل يوم من  
عمرك وأنت تفرح ، أنت فيما يكفيك ، وتطلب ما يطغيك ، لا بقليل تقنع ، ولا  
بكثير تشبع ﴾ ومن مهلهلها وسهلها قوله عليه السلام ﴿ كن في الدنيا كأنك غريب  
أو عابر سبيل ، واعدد نفسك في الموتى ، فإذا أمسيت فلا تحدثها بالصباح ، وإذا  
صبحت فلا تحدثها بالمساء ﴾ وخذ من صحتك لسقمك ، ومن شبابك لهرمك ، ومن  
فراغك لشغلك .

وإذا شئت ايضاحا وبيانا ، وعلمنا وعرفانا ، فوازن بين قول النمر بن تولب  
يذم الحياة :

يود الفتى طول السلامة والغنى      فكيف ترى طول السلامة يفعل  
يكاد الفتى بعد اعتدال وصحة      ينوء إذا رام القيام ويحمل

وقول الفند الزمانى :

ايا تملك يا قمل      وذات الطوق والحجل  
ذرينى وذرى عدلى      فان العذل كالقتل

تجد المدى واسعا والهوة بينها سحيقة والتفاوت لا حد لغايته .

أو أقرن بين قول معن بن أوس في الفخر :

لعمرك ما أهويت كفي لريبة  
ولا قادني سمعي ولا بصري لها  
وأعلم اني لم تصبني منسوبة  
ولا حملتني نحو فاحشة رجلي  
ولا دأني رأبي عليها ولا عقلي  
من الدهر الا قد اصابني أتي قبلي

وقول بشار بن برد :

ربابة ربة البسيت  
لها عشر دجاجات  
تصب الخل في الزيت  
وديك حسن الصوت

ترعجا عاجبا وتفاوتا في الصنعة لا يحتاج إلى مرأه او جدل :

وإن شاقك أن تعرف فاخر الكلام ورصينه ، وما يسابق معناه لفظه ، ولفظه معناه ، وما لا يكون لفظه اسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك ، وما قالوا في مثله انه يدخل في الأذان بلا استئذان ، فأنظر قول الرقاشي في العظة والاعتبار ﴿ سل الأرض من شق انهارك ، وغرس اشجارك ، وجنى ثمارك ، فان لم تجيبك حوارا اجابتك اعتبارا ﴾ وقول بعض الكتاب : مثلك أوجب حقا لا يجب عليه ، وسمح بحق وجب له ، وقبل واضح العذر . واستكثر قليل الشكر . لازلنا ايديك فوق شكر أوليائك . ونعمة الله عليك فوق آمالهم فيك .

### بلاغة<sup>(١)</sup> المتكلم

هي ملكة يقتدر بها على التصرف في فنون الكلام ، أغراضه المختلفة ، ببديع القول وساحر البيان ، ليبلغ من المخاطب غاية ما يريد . ويقع لديه الكلام موقع الماء من ذى الغلة الصادى . وتلك الملكة لا يصل اليها إلا من احاط بأساليب العرب خبراء . وعرف سنن تخاطبهم في مناقراتهم ومفاخراتهم ومديحهم وهجومهم واعتذارهم وشكرهم . ليلبس لكل حال لبوسها . ويراعى الخصائص والمقتضيات التي تناسبها .

(١) قال صاحب الصناعتين وصف المتكلم بالبلاغة من قبيل التوسع والمجاز وحقيقته ببلغ الكلام كما تقول رجل محكم وتعالى احكام افعاله كما قال الله تعالى : حكمة بالغة . فوصف الحكمة بالبلاغة ولم يصف بها الحكيم .

انظر إلى النبي عليه السلام تجده راعى حال من يخاطبه فكتب الى أهل فارس بما يسهل ترجمته فقال : ( من محمد رسول الله الى كسرى أبرويز عظيم فارس ، سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، فادعوك بداعية الإسلام فإني أنا رسول الله إلى الخلق كافة ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فأسلم تسلم ، فإن أبيت فأثم المحوس عليك ) .

وكتب بضد هذا الى وائل بن حجر الحضرمي وقومه ففخم لهم اللفظ لما عرف من فضل قوتهم على فهمه ، وعادتهم سماع مثله فقال ( من محمد رسول الله إلى الاقبال العباهلة من أهل حضرموت باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، على النية الشاة ، والنيمة لصاحبها ، وفي السيوب الخمس ، لا خللاط ولا وراط ، ولا شناق ولا شغار ، ومن أجبى فقد أربى ، وكل مسكر حرام <sup>(١)</sup> ) .

## منمات

أولاً : علمت مما سبق في بيان تعريف الفصاحة والبلاغة ما يعتور الكلام من العيوب ، ويزرى بقيمته ويحط من قدره . فوجب ان تعرف بم تداوى هذه العيوب فتقول :

(أ) مخالفة القياس - يمكن تجنبها بالاطلاع على علم التصريف فهو الكفيل بمعرفة سنن المفردات العربية ونهج استعمالها ، الا ترى ان نافع بن ابي نعم وهو من اكابر القراء السبعة قدرا وأفخمهم شائنا قال في معايش ، معائش بالهمز مع ان الياء <sup>(٢)</sup> فيها ليست زائدة لأنها من العيش ، فعيب عليه ذلك حتى ان ابا عثمان المازني قال ان نافعا لم يدر ما العربية .

---

(١) الاقبال واحدة قبيل بفتح القاف وهو الملك والعباهلة الذين اقروا على ملكهم والنيمة الأربعون من الغنم والنيمة الزائدة على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الاخرى والسيوب المعادن ولاخللاط اي لا يخلط رجل ابله بابل غيره بقرة ليمنع الصدقة والوراط الخديعة والعش والشياق ما بين الفريضتين حتى تنم والشغار ان يزوج كل واحد صاحبه امرأة على أن يزوجه أخرى بلا مهر والاجباء بيع الزرع قبل ان يبدو صلاحه .

(٢) ظن ان مفردا فعيلا فجمعها على فعائل وليس كذلك بل هي مفعلة بكسر العين فاصلها معيشة بكسر الراء فيأؤها ليست كياء صحيفة فلا تنقلب فيالجمع همزة .

(ب) ضعف التأليف والتعقيد اللفظي - يتباعد عنهما بملاحظة قواعد النحو إذ هو الباحث عن كيفية استعمال المركبات على وجه الصواب .

وقد يشذ عن قانونه الخاصة بله العامة فينزل كلامهم إلى الدرك الأسفل ويكون عرضة للقادح ، انظر ما وقع فيه ابو نواس حيث يقول فى مدح الأمين :

ياخير من كان ومن يكون      الا النبي الطاهر الميمون

فرجع المستثنى فى موجب الكلام ، ومعرفة هذا من ظواهر النحو لا من خوافيه .

(ج) الغرابة يسهل التباعد عنها بالاطلاع على متن اللغة ، فإذا تتبع المتكلم مشهور الكتب وأحاط بمعانى المفردات المانوسة، عرف ان ما سواه مما يفتقر الى بحيث وتنقيح ، أو تخريج على وجه بعيد فغريب .

(د) الاحوال ومقتضياتها - تعلم من دراسة علم المعانى .

(هـ) التعقيد المعنوى - يمكن التجافى عنه بدراسة علم البيان .

(و) وجره تحسين الكلام التى تكسوه طلاوة وتكسبه رقة ، بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ووضح الدلالة - تعرف من علم البديع .

(ز) التنافر - وملاك معرفته الذوق السليم والشعور النفسى .

ثانيا : علم البيان فى اصطلاح المتقدمين اسم جامع العلوم الثلاثة ( المعانى والبيان والبديع ) وعليه قول الجاحظ البيان اسم جامع لكل ما كشف لك المعنى ، وقول ابن المعتز ، البيان ترجمان القلوب وصيقل العقول .

بعض الأئمة يسمي الثلاثة علم البديع لما فيها من بديع الصنعة ، كما يسمي بعضهم الأول علم المعانى والأخيرين علم البيان .

ثالثا : المتقدمين فى حدود البلاغة ورسومها ، كلمات مجملة تقرب لك بعضا مما فصلناه ، منها قول محمد بن الحنفية - البلاغة قول تضطر العقول إلى فهمه بأيسر العبارة ، وقول ابن المعتز : البلاغة البلوغ الى المعنى ولما يطل سفر الكلام ، وقول ابن الاعرابى : البلاغة التقرب من البغية

ودلالة قليل على كثير ، وقول بعضهم هى قلة اللفظ وسهولة المعنى وحسن البديهة .

## علم المعانى

هو قواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام مقتضى الحال حتى يكون وفق الغرض الذى سبق له ، فيه تختز عن الخطأ فى تأدية المعنى المراد ، فنعرف السبب الذى يدعو الى التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ، والايجاز حيننا والاطناب آخر ، والفصل والوصل الى غير ذلك مما سنذكر .

فمنه نعرف مثلاً :

( ١ ) ان العرب توجز اذا شكرت او اعتذرت .

( ٢ ) ان العرب تطنب اذا مدحت .

( ٣ ) ان الجملة الاسمية تأتي لافادة الثبات بمقتضى المقام .

فتمتى وضع المتكلم تلك القواعد نصب عينيه لم يزعج عن اساليبهم ونهج تراكيبيهم وجاء كلامه مطابقاً لمقتضى الحال التى يورد فيها ، فالشكر حال يقتضى الايجاز ، وايراد الكلام على هذه الصورة مطابقة لمقتضى الحال .

(واضعه) أول من بسط قواعد الامام عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ فهو الذى هذب مسائله . وأوضح قواعده - وقد وضع فيه الائمة قبله نتفاً كالجاحظ وأبى هلال العسكري الا أنهم لم يوفقوا الى مثل ما وفق اليه ذلكم الخبير الجليل .

## فائدته

( ١ ) الوقوف على أسرار البلاغة فى منشور الكلام ومنظومه ، فنحتذى حذوهما ونسج على منوالهما ونعرف السرفى افتخار النبى عليه السلام بقوله ، انا افصح من

نطق بالضاد ، وقوله « اوتيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا . ونفهم وجه تعجيب الصحابة من فصاحته عليه السلام فقد روى ان ابا بكر رضى الله عنه قال له ما بالك يا رسول الله افصحنا ولم تخرج من بين اظهرنا .

( ٢ ) معرفة وجه اعجاز القرآن من وجهة ما خصه الله به من حسن التأليف . وبراعة التركيب . وما اشتمل عليه من عذوبة وجزالة . وسهولة وسلاسة فنقتنع ببلاغة وندرك السرفى فصاحته ، وكيف كان معجزه خالدة على وجه الدهر لا يبليها كر الجديدين ولا مرور الملوتين .

وقد رتبنا الكلام فى هذا الفن على اثنى عشر بابا .